

الحمد لله رب العالمين

اللهم اسْعِنْ

صُبْرَةَ صَلَالِ التَّابِعِينَ

الحمد لله رب العالمين

عَلَيْكَمْ شَرَفُ الْمُؤْمِنِينَ

دَارُ الرَّازِقِ كَشْفُ

دمشق - بيروت

(٥)

عائشة بنت سعد

• قال العجلي :

عائشة بنت سعد : مدنية ، تابعة ، ثقة .

• أبوها سعد بن أبي وقاص ، راوية للحديث النبوى الشريف ، أدركت ستة من أزواج النبي ﷺ ، مجيبة للعلم .

عائشة بنت سعد

كلمات في البداية :

* ما من شلت في أن للنساء أثراً مشكوراً في نشر حديث رسول الله ﷺ ، فلم تكن مجالسه ﷺ فاقدرة على الرجال ، بل كان كثير من النساء يحضرن فيستمعن إلى حديثه الشريف ، وخصوصاً في المناسبات العامة ، كصلاة العيد إذ كن يخرجن جميعاً إلى المصلى لاستئذن الموعظة النبوية .

* إلا أن المجالس النبوية كانت الغلبة فيها للرجال دون النساء ، لذلك جاء وفده النساء إلى رسول الله ﷺ ، وطلبن إليه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه ، فكان يجيئن إلى ذلك .

* وقد كان لزوجات النبي الطاهرات - رضي الله عنهم - فضل كبير في تبليغ أحكام الدين ، ونشر الشُّرُف بين نساء المؤمنين لا سيما ما كان من أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - التي كانت على مقدار عظيم من الذكاء والحفظ والفهم والمعرفة ، ولا ريب في أن نساء النبي ﷺ كن جميعاً قسيمات عائشة في إذاعة العلم ، وإفاضة الدين على المسلمين ، فقد أمرهن الله عز وجل بالاستقرار في بيوتهن ومدارسة القرآن الكريم ، والسماع الغراء في قوله عز وجل : ﴿ وَقُرْنَ في بِيُوتِكُنْ وَلَا تَرْجِنْ

تبرّجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴿٤﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ۚ وَذَكَرْنَ مَا يُتَلَقَّى فِي بَيْوَتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ...﴾ [الأحزاب: ٣٣ و ٣٤] .

* لذا كان لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - أثرٌ فعال في تشير
السنة ، ولو لاهن لضاعت أحاديث وأحكام ما كنا لنطلع عليها أو تصلنا
من غيرهن لا سيما الأفعال التي تقع بين النبي عليه السلام وأزواجه ، مما لا يمكن
لأحد الاطلاع عليها ، والوقوف على أحكامها .

* وكان لأمهات المؤمنين^(١) - رضي الله عنهن - طالبات نجيبات من النساء اللواتي روين عنهن ، ومن هؤلاء النساء ؛ امرأة جليلة القدر ، امتدت بالصدق في العلم ، والأمانة في الرواية ، تلكم هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الزهرية المدنية^(٢) . إحدى النساء التابعيات المتفوقات علماً وفضلاً ، وحفظاً ورواية .

* * *

(١) لم تكن نعمات المؤمنين - رضي الله عنهم - وحلهن في هذا المجال في عصرهن وما
ثلاثة ، بل كنّ كثيرات ، وقد حَقَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ - رَحْمَةُ اللهِ - جزءاً خاصاً من
كتابه «الطبقات الكبيرة» ترويات الحديث من النساء أدق فيه على أكثر من سبعين
امرأة رويت عن النبي ﷺ أو عن الثقات من أصحابه ، وروى عنهن أعلام الدين
وأئمة المسلمين وأفاضلهم ... واستمرت رواية الحديث للنساء إلى عصري متأخر ،
ذلكم أن الحافظ المثبور والمؤرخ الكبير ، الإمام ابن عساكر المتوفى سنة
(٧٦١ هـ) وهو أوثق رواة الحديث ، وأصلفهم حديثاً ، لقب بحافظ الأمة ، كان
له من شيوخه وأساتذته بعض وثمانون من النساء ... وأمّا شيوخه من الرجال فيزيدون
عن المائة .

(٢) الطبقات (٨/٦٧٤) ، وتقريب التهذيب (٢/٦٠٦) ، وشذرات الذهب (٢/٨٢) .

النُّسَاءُ الْعِلْمِيَّةُ :

* في أوائل^(١) خلافة سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ، ولدت عائشة ابنة سعد بن أبي وفاص في المدينة المنورة ، وكانت المدينة إذ ذاك موئل الصحابة والعلماء ، ومنبع الحديث والحمدتين ، وفي مقدمتهم عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – .

* ونشأت عائشة بنت سعد على حب العلم والرواية منذ نعومة أظفارها ، وصنعت على عيني والدها سعد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد السابقين الأولين إلى ساحة الإسلام ، وأحد من شهد بدراً والحدبية ، وأحد ستة أهل الشورى ، وفضائله كثيرة شهيرة ، وكانت ابنته عائشة – رحمها الله – تفخر به وتقول :

أنا ابنة المهاجر الذي فداء رسول الله عليه السلام يوم أحد بالأبوين^(٢) .

* وإلى جانب هذه الفضائل ، وهاتيك الخصال الحميدة ، روى سعد عن النبي عليه السلام فكثير وأطاب وأجاد ، إذ روى عنه (٣٧٠) حديثاً ، وقد روت عائشة أول ما روت عن أبيها – رضي الله عنه – ،

(١) ولدت عائشة سنة (٣٣ هـ) .

(٢) البداية والنهاية (٧٦/٨) ، وسفر أعلام النساء (١٠١/١) . وفي الصحيح أنَّ سعيد بن المسيب قال : سمعت سعداً يقول : ثقل استخرج - لي رسول الله عليه السلام كياته يوم أحد وقال : أرم فداك أبي وأمي ، أخرج البخاري في مواضع منها (٤٠٥٥) و (٤٠٥٦) و (٤٠٥٧) في المغازى ، وقبله (٣٧٢٥) في الفضائل ، ومسلم (٢٤١٢) في الفضائل ، والترمذى (٤٣٧٥) و (٣٧٥٥) ، وابن ماجه (١٢٩) و (١٣٠) ، وأحمد (٩٢/١ و ١٢٤ و ١٣٦ و ١٣٧) .

وعن عدّة من أزواج النبي ﷺ ، فقد روى أبوب السختياني – رحمة الله – عن عائشة بنت سعد أنها قالت : أدركت ستًا من أزواج النبي ﷺ .
 عائشة (١) .

* وروت عائشة كذلك عن أم ذرعة المذنية ، وأم ذرعة هذه راوية من راويات الحديث الثقات ، كانت مولاً لعائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها .

* أمّا من روى الحديث عن عائشة بنت سعد فكثير منهم : الجعد بن عبد الرحمن ، وأبوب السختياني ، والحكم بن عبيدة ، وأبوع الزناد ، ومهاجر بن مسمار ، وعبيدة بن نابل ، ومالك بن أنس (٢) وأخرون .

* والحقيقة : إنَّ امرأةً من تلامذتها ورواتها الإمام مالك لكبيرة الشأن في العلم ، عالية القدر في الفقه ، ومن الحديث بالذكر أن الإمام مالك – رحمة الله – لم يرو عن امرأة غيرها (٣) .

(١) المعرفة والتاريخ للبسوي (٢/١٩) .

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبهني الحميري ، أبو عبد الله ، المدني ، الفقيه : إمام دار المحرجة ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإليه تُسب الماكية . كان رئيس المحنkin ، وكبير المحبين ، ولد بالمدينة سنة (٩٣ هـ) ، كان صلباً في دمه ، وكان معظمماً عند هارون الرشيد ، صنف « الموطأ » وله كتب كثيرة ، وألفت حوله كتب عديدة أشهرها في العصر الحديث « مالك بن أنس » محمد أبي زهرة ، ومناقبه كثيرة جداً . توفي بالمدينة المنورة سنة (١٧٩ هـ) وله ست وثلاثون سنة – رحمة الله تعالى .

(تقريب التهذيب : ٢٢٣/٢) ، و (الأعلام : ٢٥٧/٥ و ٢٥٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٤١/٨) .

* وكانت عائشة - رحمها الله - من ثقات روايات الحديث النبوى الشريف ، قال عنها العجلى : عائشة بنت سعد مذنبة ، تابعية ، ثقة ، أمّا ابن حبان - رحمه الله - فقد ذكرها في الثقات ، وقد روى لها الإمام البخاري وغيرة .

* * *

عبدتها وصلاتها في المسجد :

* إلى جانب الرواية والفقه ، كانت عائشة بنت سعد - رحمها الله - من النساء اللاتي وهن أنفسهن للعبادة والصلة ، والمحافظة على أداء الصلوات في المسجد النبوى الشريف ، لأن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ، وكثيراً ما كانت تشهد صلاته الصبح والعشاء في المسجد^(١) ، ويدلُّ على هذا ما ذكره حبيب بن أبي مزروق قال :

(١) بما يفيد قوله في هذا المقام ما يقوله الفقهاء بأنه يجوز للنساء الخروج إلى المساجد ، وتشهد الجماعة ، بشرط أن يتجنّب ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب وما شابه ذلك . فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد ، وبيوتهن خير لهن » رواه أحمد وأبي داود . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « إنما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » رواه مسلم وأبي داود والنسائي بإسناد حسن . والأفضل للنساء والأقوم طن الصلاة في بيتهن . روى الإمام أحمد والطبراني عن أم حميد الساعديه أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني أحب الصلاة معك ، فقال ﷺ : « قد علمت ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة » .

لقيت امرأة بالمدينة معها نسوة ، وضوء نار – يعني شععة – خارجة من المسجد ، فسألتُ عنها فقالوا : هذه بنت سعد بن أبي وقاص .

* * *

عائشة وشخصية أبinya :

* عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال :
كنا مع رسول الله ﷺ ، إذ أقبل سعد بن مالك – اسم أبي وقاص مالك – فقال رسول الله ﷺ :
﴿هذا حالى فليُرِنِّي امْرُّ حَالَهُ﴾ .

* وهذا النسب الظاهر ، وهذه القرابة الشريفة لسعد من جهة أم النبي ﷺ ، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف الزهرية ابنة عم أبي وقاص ، لذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول عن سعد : ﴿هذا حالى﴾ .

* وبعد هذا ، حق لنا إذن أن نقول عن عائشة بنت سعد بأنها ابنة خال رسول الله ﷺ ، فأكرم بهذا الشرف ! وأعظم به ! .

* وقد وصفت عائشة والدها وصفاً دقيقاً ، كان عمدة الكتاب والمورخين في معرفة صورته ، إذ أعطت ملائمة دقيقة عن شخصيتها وشكله فقال :

(١) أخرجه الترمذى في المناقب (٣٧٥٣) ، وانظر البداية والنتهاية (٧٨/٨) .

كان أبي رجلاً ذخراً - فصغيراً - غليظاً ذا هامة ، شُنَّ الأصابع
- غليظها بلا قصر - أشعر ، وكان يخضب بالسواد^(١) .

* وما بعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى جانب
من الحجاز ، يُدعى « رابغ » انكفاء المشركون على المسلمين ، فحملهم
سعد يومئذ بسهامه ، فكان هذا أول قتال في الإسلام . وروت عائشة
ابته أن أباها قال يومئذ :

الَا هَلْ أَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنِي
حَيْثُ صَحَابِي بِصَدْرِي نَبْلِي
أَذْوَدُ بِهَا عَدُوَّهُمْ ذِيَادًا
بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ مُهَلَّةٍ
فَمَا يَعْتَدُ رَاهِرٌ مِنْ مَعْذَلَةٍ
بِسْمِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلِي^(٢)

* وما روت عائشة - رحمها الله - عن أحوال والدها أنها قالت :
قال سعد :

اشتكىت بعمكة ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ يعودني ، فمسح وجهي وصلري وبطني وقال : « اللهم اشف سعداً » ، فما زلت بخيال
إلى أن أجد نزدة يدوه ﷺ على كبدتي حتى الساعة^(٣) .

(١) الطبقات الكبيرى لابن سعد (١٤٣/٣) .

(٢) الطبقات (١٤٢/٣) .

(٣) سير أعلام البلاء (١١٠/١) ، والحديث أخرجه البخارى (٥٦٥٩) ، والنمساني
(٢٤١/٦) .

* ومن خلال أخبار عائشة عن والدها ، يمكن لنا أن نعرف جوانب هامة عن حياة هذا الصحابي الكريم ، فقد أخبرتنا عن أعماله ، وغزواته ، وأمواله ، وذكرت وفاته وغير ذلك مما يدل على اهتمامها بتبلیغ العلم ، ونشر فضائل الصحابة الكرام عن هذا الطريق ، والآن ، لنقرأ سوية هذه الفقرات الكاشفة التي تحدّد فيها عائشة مكان وفاة والدها .

قالت عائشة :

مات أبي رحمة الله في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، فحمل إلى المدينة على رقاب الرجال ، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو والي المدينة وذلك في سنة (٥٥ هـ) ، وترك يوم مات مئتي ألف وخمسين ألفاً^(١) .

* * *

مع أمهات المؤمنين :

* تشير أخبار عائشة بنت سعد - رحمها الله - إلى أنها كانت على صلة دائمة بزوجات النبي ﷺ ، وأنها كانت تدخل عليهم ، فيكرمتها ، وربما دعون لها بالبركة ، وقد نقلت إلينا هذه التابعية بعض الصور التي تتعلق ببعض القواعد الشرعية ، والأحكام الإسلامية ، من ذلك ما أخرجه محمد بن سعد بسنده عنها أنها قالت :

أدركت ستة من أزواج النبي ﷺ ، وكنت أكون معهن ، فما رأيت

(١) الطبقات (١٤٨/٢ و ١٤٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٢٣/١) .

على امرأة منهن ثوباً أليس ، و كنتُ أدخل عليهن وعلى الخلل فلا يعن ذلك على فقيل لها : ما هو ؟ .

قالت : قلائد الذهب و مزيفات الذهب ، فلا يعن ذلك على .

* وعن فقه عائشة بنت سعد و خصوصاً في الوضوء ، حدثت عبيدة بنت نابل عن ذلك فقالت : كان لعائشة بنت سعد خاتمان من ورق - فضة - في اللتين تليان الخنصر ، فكانت إذا توضأت أجالتها .

* ولعل عائشة بنت سعد - رحمها الله - ، كانت في صلاتها وفي توافقها لا تخرج عمماً كانت عليه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، فقد أخرج الإمام أحمد بسنده ، عن عائشة بنت سعد عن أم ذرة قالت : رأيت عائشة - رضي الله عنها - تصلي الضحى وتقول : ما رأيت رسول الله عليه السلام يصلِّي إلا أربع ركعات (١) .

* وفي سنة (١١٧ هـ) (٢) لقيت عائشة بنت سعد ربها ؛ بعد أن قضت قرابة تسعين عاماً إلا قليلاً قضتها في العلم والرواية ، وكانت آخر منْ بقى من بنات المهاجرين ، فقالت :

والله ما بقى على وجه الأرض بنت مهاجر ولا مهاجرة غيري .

* رحم الله عائشة بنت سعد ، وجعلها مع الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها .

* * *

(١) رواه أحمد في المسند (١٠٦/٦) .

(٢) الكامل في التاريخ (١٩٥/٥) .